

نشأة المنظومات التعليمية في الأدب العربي THE EMERGENCE OF EDUCATIONAL SYSTEMS IN ARABIC LITERATURE

BY

إعداد:

Ahmad Rufai Nasir & Umar Jibril Aliyu

Department of Arabic Studies, Faculty of Arts, Nasarawa State University, Keffi, Nigeria.

Email: rufaiahmad@nsuk.edu.ng

المخلص

هدفت هذه الدراسة إلى أن المنظومات التعليمية عامة كما يقول الباحثون لم يأت فيها شعر جيد. فقد استحال أكثرها قوالب لفظية وأقوالاً علمية. غير أنها عظمة الفائدة وشديدة الدلالة على الحال العلمية للعصور الماضية، كما تعتبر هذه المنظومات أو الأشعار التعليمية من الفنون الشعرية الأربعة في العالم، يعني: الشعر الملحمي والشعر الغنائي والشعر التمثيلي والشعر التعليمي. هذا النوع من الشعر يهدف إلى تعليم الناس أمور حياتهم الدنيوية والأخروية والحقائق والمعارف المتعلقة بحياتهم الفردية والاجتماعية. ونجد له سابقة عريقة في القدم في أكثر الملل إلا أن الأدباء اختلفوا في نشأته في الأدب العربي، وذهبوا فيها مذاهب شتى. ولذلك يهدف الباحثون من هذا البحث أن نبين قضية نشأته في الأدب العربي. ثم استخدم الباحثان المنهج الوصفي.

الكلمات المفتاحية: المنظومات، الشعر التعليمي، نشأة المنظومات.

Abstract

This study aimed to find out that educational systems in general, as researchers say, did not produce good poetry. Most of them have become verbal forms and scientific sayings. However, they are of great benefit and highly indicative of the scientific state of past ages. These educational systems or poems are considered one of the four poetic arts in the world, meaning: epic poetry, lyrical poetry, dramatic poetry, and educational poetry. This type of poetry aims to teach people about their worldly and otherworldly lives and the facts and knowledge related to their individual and social lives. We find a long-standing precedent for it in most religions, but writers differed in its origin in Arabic literature, and they went in different directions. Therefore, the researchers aim in this research to clarify the issue of its origin in Arabic literature. Then the researchers used the descriptive method.

Keywords: Systems, educational poetry, origin of systems.

المقدمة

ظاهرة الشعر من الظواهر التي اشترك فيها كل الشعوب ولا ترتبط هذه الظاهرة بالحضارة، فالشعوب البدائية لها شعر أيضاً ولذلك قد اختار الشعر لنفسه منذ الأزل سبيلاً ينادى عن روح العلم وأوشك أن يكون حديثاً خاصاً لإذاعة ما تضحج به الخواطر من العواطف والمشاعر وعلى هذا الأساس تكوّن الذوق العام فوضع كل ما هو شعري مقابل العلمي حتى باتت طبيعة الشعر تتحدد بذاتية المبدع، وأضحت علامة فارقة تميزه، ويبدو أن هذه الصفة لازمت الشعر منذ مراحل تكوينه الأولى وهو أمر يصدق على حال الشعر العربي أيضاً ومع تقادم الأزمنة حدث نوع من التقارب بين الشعر والعلم في حياة الأمة الإسلامية ولوحظ هذا التقارب ببرز بقوة كلما آلت تلك الحياة إلى التطور باتجاه العلم، هذا ويعتبر الشعر التعليمي واحداً من الأقسام الأربعة لأنواع الشعر في الأدب العالمي وثاني اثنين من هذه الأقسام السائدة في الأدب العربي بحيث أُرِد الشعر الغنائي وجوداً ونموماً وكمياً، إلا أن الأدباء تناولوا الشعر الغنائي في الأدب العربي بكل أقسامه ولم يتناولوا الشعر التعليمي كما هو حقه وحتى لم ير بعضهم له قيمة وقدرًا جديرًا بالبحث والمناقشة؛ والحال أن الشعر التعليمي يحمل على أعجازه حضارة وثقافة عظيمة الخطر للأمة العربية خاصة والإسلامية عموماً. فمن هذا المنطلق قمنا بدراسة نشأة المنظومات التعليمية لكي يتضح لنا جانب من جوانبه الغامضة وذلك من خلال المواضيع التالية:

-1 بين النظم والشعر.

- 2- المنظومات التعليمية وأنواعها:
- 3- نشأة المنظومات التعليمية في الأدب العربي.
- 4- المنظومات التعليمية في العصر الجاهلي.
- 5- حصيلة البحث.

1- بين النظم والشعر:

المنظومات التعليمية التي نحن بصددنا مصطلح عند الأدباء لمنظوم القول وهناك فرق بين النظم والشعر، يقول عمر فروخ وهو يفرق بين النظم والشعر: "أما النظم فهو الكلام الموزون المقفى. فإذا امتاز النظم بجودة المعاني وتخبر الألفاظ ودقة التعبير ومثانة السبك وحسن الخيال مع التأثير في النفس فهو الشعر. لأن الشعر حقيقته ما خلب العقل واستولى على العاطفة واستهوى النفس. من أجل ذلك قال العرب الجاهلية عن القرآن إنه شعر وعن رسول الله إنه شاعر. والعرب الجاهليون لم يقصدوا أن القرآن كلام موزون مقفى، بل نظروا إلى شدة أثره في النفس فقالوا عنه ما قالوا (1)".

2- المنظومات التعليمية وأنواعها:

هي الأشعار التي تهدف إلى تعليم الناس وتشتمل على المضامين الأخلاقية، الدينية، الفلسفية، أو التعليمية عموماً، أو قل هي التي "يراد بها الأراجيز والقصائد التاريخية أو العلمية التي جاءت في حكم الكتب وكذلك الكتب التي نظمها فجاءت في حكم الأراجيز والقصائد وهو ما يعبر عنه المتأخرون بالمتون المنظومة كالفية الإمام محمد بن مالك في النحو العربي وغيرها مما يجمع قضايا العلوم والفنون وضوابطها (2)".

بيد من خلال البحث حول المنظومات التعليمية في كتب الأدب أن هذا اللون من الشعر الذي يهدف به الشعراء إلى تعليم الناس؛ تارة يعالج الأخلاق والعقيدة والعبادة، ويتناول الخير والشر، والفضيلة والرذيلة، وما ينبغي للإنسان أن يكون عليه، وما يجب أن يتحاشاه ويتباعد عنه. يسلك الشاعر في ذلك أساليب الترهيب والترغيب والنصح والعظة؛ وتارة يتناول التاريخ والسير، فيقرر ويبين الأنساب والأصول والفروع، وتسلسل الحوادث وترتيبها، ويبحث العلل والأسباب، ويربط النتائج بمقدماتها؛ وتارة يعرض للعلوم والفنون والصناعات، فيقرر الحقائق المتعلقة بشأنها، ويضع لها القواعد ويستنبط لها القوانين.

ومن هذا المنطلق يقول الدكتور صالح آدم بيلوان: "الميادين التي يعمل فيها هذا اللون من الأدب، أو الشعر الذي نسميه (تعليمياً) ثلاثة ميادين:

- 1- أصول الأخلاق والعقائد.
- 2- السير والتاريخ.
- 3- الحقائق والمعارف المتعلقة بالعلوم والفنون والصناعات (3)".

3- نشأة المنظومات التعليمية في الأدب العربي:

تختلف الآراء فيما يتعلق بنشأة المنظومات التعليمية أو الأشعار التعليمية في الأدب العربي؛ يذهب بعضهم إلى أن العرب لم يعرفوا هذا اللون من الأدب إلا في وقت متأخر نتيجة لإتصالهم بالفكر الوافد فهناك من يرى أن هذا التأثير ناشىء عن الثقافة الهندية التي إتصل بها العرب في العصر العباسي، ومن هؤلاء الأستاذ أحمد أمين (4) والدكتور أحمد فوزى الهيب (5) والدكتور مصطفى هدارة (6) يعلل الدكتور هدارة هذا التأثير ويقول: "فأي الثقافة اليونانية أم الهندية؟ بل كلتا الثقافتين قد اتصلت بالفكر العربي اتصالاً وثيقاً كما بينا من قبل ولكن اتصال العرب بالأدب الهندي كان أو ثق بكثير من اتصالهم بالأدب اليوناني، لأن أدب الهند أقرب إلى الطبيعة العربية بما فيه من أساطير وأسماء وحكايات. ثم إن علوم الهند التي كانت متقدمة فيها أو تنفرد بها، مثل الفلك والحساب وغيرهما، كانت سبباً في توثيق العلاقة بين الثقافتين العربية والهندية أيضاً، هذا بالإضافة إلى تأثير الشعراء المولدين الذين هم من أصل هندي وتأثير عملية المزج بين الجنسين على وجه العموم، وما يترتب عليها من آثار مختلفة نحن نميل إلى إقرار هذا التأثير الهندي في نشأة الفن التعليمي في الشعر العربي، إذا كان لا بد من وجود تأثير أجنبي، وإذا لم يكن الشعر التعليمي قد نشأ نشأة طبيعية بانتشار حركة التعليم وإحساس المعلمين والمتعلمين على السواء بحاجتهم إلى نوع من التأليف (المدرسي) يسهل نقل المعلومات وحفظها، فلم يجدوا غير الإستعانة بالشعر ليكون وسيلة مشوقة وسهلة في الوقت نفسه خاصة بالنسبة للعقلية العربية المشهورة بقدرتها على حفظ الشعر وروايته (7) هذا ويرى الآخرون أن ذلك من مكتسبات الثقافة اليونانية (8) على أن الدكتور طه حسين يرى أن أبان بن عبد الحميد اللاحق هو مبتكر هذا الفن في الأدب العربي، إذ يقول: "يظهر أن أبان هو أول من عني بهذا الفن (9) ويقول عنه في موضع آخر: "فهو إمام طائفة عظيمة الخطر من الناظمين معنى أنه ابتكر في الأدب العربي فناً لم يتعاطه أحد من قبله، وهو فن الشعر التعليمي (10)". ويذهب شوقي ضيف إلى رأيين متناقضين كل التناقض، ولا ندري على أيهما إستقر رأيه النهائي إزاء المسألة! ففي كتابه العصر العباسي الأول يرى أنه "فن استحدثه الشعراء العباسيون، ولم تكن له أصول قديمة، ونقصد فن الشعر التعليمي الذي دفع

إليه رقي الحياة العقلية في العصر، فإذا نفر من الشعراء ينظمون بعض القصص أو بعض المعارف أو بعض السير والأخبار» (11) بينما يذهب الدكتور شوقي ضيف في كتابه الآخر " التطور والتجديد في الشعر الأموي " مذهباً آخر يوشك أن يكون صائباً، ولكنه لم يسر فيه إلى آخر الشوط، فهو يذهب ههنا إلى أن الشعر التعليمي ذونشأة عربية خالصة في آخر القرن الأول الهجري وأول القرن الثاني، أو قل في أواخر الدولة الأموية إذ أن أراجيز الرجاز وبخاصة روية والعجاج قد كانت متوناً لغوية، وبالتالي فهو النواة والبذرة التي بنى عليها الشعر التعليمي في جانب الكلام المنظوم، وتطور في جانب النثر فصارت المقامات.

بهذا الصدد يقول شوقي ضيف: "نحن إذن بجزء متون تُولف لا بجزء أشعار تصاغ ويعبر بها أصحابها عن حاجاتهم الوجدانية أو العقلية، فقد تطور الشعر العربي وأصبحت الأرجوزة منه خاصة تُولف من أجل حاجة المدرسة اللغوية وما تريده من الشواهد والأمثال. والأرجوزة الأموية من هذه الناحية تعد أول شعر تعليمي ظهر في اللغة العربية. ولعل في هذا ما يدل على المكان الذي ينبغي أن توضع فيه، أو الذي وضعت فيه فعلاً، فمكانها صحف العلماء من مثل يونس وأبي عمرو بن العلاء، يتعلمونها ويعلمونها الناس، وينقلونها إلى أذهانهم وينقشونها في عقولهم، ليدلوا بها على مدى علمهم في اللغة ومعرفتهم بالفاظها المستعملة والمهمة". (12) هناك أخبار كثيرة تدل على أن أصحاب اللغة والنحو من مثل يونس، كانوا ما يزالون يلتقطون ما ينثره روية من درر الوحشي الغريب (13) كما يشير إليه روية نفسه قائلاً: " يلتمس النحوي فيها قصدي" (14) أو قوله: " إذا الرواة بلغوا ما أهدى" (15) وكذلك يفخر بأن النحوي مهما كان عالماً باللغة فإنه لا يبلغ مبلغه فيها إذ يقول:

لا ينظرُ النَّحْوِي فِيهَا نَظْرِي ** وَإِنْ لَوَى لِحَيْبِهِ بِالْحَاكِرِ

وهُدَيْهِ الْعِلْمَ وَالنَّعِيرَ ** حَتَّى اسْتَقَامَتْ بِي عَلَى النَّيْسِ (16)

ولا يخفي لمن يدقق في أراجيز روية بأنه اتخذ لنفسه وظيفة غريبة هي صياغة الألفاظ والأساليب والإتيان بكل غريب شاذ فيها، حتى يرضى ذوق اللغويين وحاجاتهم. وقرأ له هذا المطلع في أرجوزة له مشهورة حيث يملأها بغيران اللغة:

وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ حَاوِي الْمُخْتَرِقِ ** مُسْتَبِيهِ الْأَعْلَامِ لَمَّاعِ الْحَقِّقِ

يَكُلُّ وَفَدَ الرَّيْحِ مِنْ حَيْثُ انْحَرَقَ ** شَازٍ بَمَنْ عَوَّهَ جَدْبِ الْمُنْطَلِقِ

نَاءٍ مِنَ النَّصِيحِ نَائِي الْمُعْتَبِقِ ** بَدُولْنَا أَعْلَامُهُ بَعْدَ الْعَرَقِ

فِي قِطْعِ الْأَلِّ وَهَبَوَاتِ الدُّقِّقِ ** خَارِجَةً أَعْنَاقُهَا مِنْ مُعْتَبِقِ

تَنْسَطُنَتْهُ كُلُّ مِغْلَاةِ الْوَهَقِ ** مَضْبُورَةٌ قَرَوَاءَ هِرْ جَابِ فُنُقِ (17)

وعلى هذا الأساس يقول الدكتور شوقي ضيف: "نحن نؤمن بأن هؤلاء الرُجَاز - وفي مقدمتهم روية - هم الذين أعدوا شعراء العصر العباسي لا للشعر التعليمي فحسب، بل لاقتباسهم للغريب في أشعارهم، فالغريب أصبح جزءاً هاماً في مادة الشعر عند الشعراء الممتازين من أمثال بشار وأبي نواس وأبي تمام" (18) وفي مكان آخر يقول عن روية وأبيه العجاج: "والإنسان لا يلم بديوانيهما حتى يقطع بأنهما كانا يؤلفان أراجيزهما قبل كل شيء من أجل الرواة، ومن أجل أن يمثوفاً بكل لفظ غريب وكل أسلوب شاذ، ومن هنا كنا نسمة هذه الأراجيز متوناً لغوية، وقد بلغت هذه المتون صورتها المثالية عند روية، فهو النمو الأخير لهذا العمل التعليمي الذي أرادته المدرسة اللغوية من جهة، والذي استجاب له الشعراء وخاصة الرجاز من جهة أخرى. ولعل ذلك ما جعل اللغويين يوقرونه أعظم التوقير، فأبو الفرج يقدمه في ترجمته له بقوله: «أخذ عنه وجوه أهل اللغة وكانوا يقتدون به ويحتجون بشعره ويجعلونه إماماً»". (19) ولذلك يستنتج أن الأراجيز الأموية من هذه الناحية تعد أول شعر تعليمي ظهر في اللغة العربية (20) كما يرى أن الشعر التعليمي هو الأسلوب المتطور للأراجيز الأموية فيقول: "ومهما يكن فقد ألهمت الأرجوزة الأموية أصحاب الشعر في العصر العباسي أن يقوموا بنظم شعرهم التعليمي، كما ألهمت أصحاب النثر أن يقوموا بصنع المقامة". (21) هناك رأى آخر يرد نشأة الشعر التعليمي في الأدب العربي إلى زمن بعيد جداً، أعنى العصر الجاهلي؛ يقول الدكتور صالح آدم بيلو: "ونحن نرجح تخطيطه الذين ذهبوا إلى أن الشعر التعليمي إنما عرفه الأدب العربي مع ما عرفه من الثقافة الدخيلة، والفكر الوافد - شرقية وغربية، هندية ويونانية - أو ابتكر في هذا العصر العباسي ابتكاراً بسبب امتزاج الأفكار والثقافات وتوالدها، أو أن الأراجوزة الأموية هي التي وجهت إليه الشعراء العباسيين! إن الخطأ قد أتى هؤلاء الكاتبيين من وجهة (التطبيق)، فهم يعرفون الشعر التعليمي تعريفاً نظرياً جيداً، واضح الحدود والمعالم، بين القسما والسمات، وحين تأتي مرحلة التطبيق العلمي بجانبهم التوفيق، ولا يجدون إلا بعض الجزئيات أو الأقسام في فترة معينة من الزمان تنطبق عليها هذه النظريات، ومن هنا ينطلقون إلى القول بأن هذا الفن كان عدماً فيما مضى ثم أصبح له وجود منذ هذه الفترة التي أسموها بالعصر العباسي، أو على أحسن الفروض العصر الأموي". (22) ثم يبدي رأيه ويقول: "نحن نقرر أن الأدب العربي

منذ جاهليته قد شارك في هذا اللون من الفن بكل أقسامه التي قدمناها".⁽²³⁾ ويستند لمدعاه هذا إلى أشعار تعليمية - بكل أقسامها - في العصر الجاهلي.

4- المنظومات التعليمية في العصر الجاهلي:

من دقق في الأدب الجاهلي ليجد الأقسام المختلفة من الفن التعليمي في هذه الحقبة من الزمن؛ فبالنسبة للتاريخ وذكر القرون الخالية والأمم البائدة قد امتلأ الأدب العربي بشعر الشعراء في ذلك، وقد كان ذلك أحد المنطلقات التي انطلق منها جماعة من الشعراء خصوصاً أولئك الذين كانوا على شيء من الثقافة الدينية والعلمية كأمية بن أبي الصلت، وعدي بن زيد ومن ذلك قصيدة عدي في منشأ الخلق وقصة خلق آدم وحواء وإسكانهما الجنة ونهيهما عن أكل الشجرة وهبوطهما من الجنة حيث يقول:

قَضَى لِسِبْتَةَ أَيَّامِ خَلِيقَتُهُ ** وَكَانَ آخِرَهَا أَنْ صَوَّرَ الرَّجُلَا.

دَعَاهُ أَدَمُ صَوْتًا فَاسْتَجَابَ لَهُ ** يَنْفَخُ الرُّوحَ فِي الجِسْمِ الَّذِي جَبَلَا.

تُمَّتْ أَوْ رَتْهُ الْفِرْدَوْسَ يَعْمرُهَا ** وَرَوَّجَهُ صَنْعَةً مِنْ ضِلْعِهِ جَعَلَا.

لَمْ يَنْهَهُ رَبُّهُ عَنْ غَيْرِ وَاحِدَةٍ ** مِنْ شَجَرٍ طَيِّبٍ أَنْ سَمَّ أَوْ أَكَلَا.

فَكَانَتْ الْحَيَّةُ الرَّقَشَاءُ إِذْ خُلِقَتْ ** كَمَا تَرَى نَائِقَةً فِي الْخَلْقِ أَوْ جَمَلَا.

فَعَمَدًا لَلَّتِي عَنْ أَكْلِهَا نُهِيَا ** بِأَمْرِ حَوَاءَ لَمْ تَأْخُذْ لَهُ الدَّعَلَا.

كَلَاهُمَا خَاطَ إِذْ بُرِّئَا لِبُوسَتُهُمَا ** مِنْ وَرَقِ النَّيْنِ ثُوبًا لَمْ يَكُنْ غُزَلَا.

فَلَاطَهَا اللَّهُ إِذْ أَغْوَتْ خَلِيقَتُهُ ** طَوَّنَ اللَّيَالِيَّ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهَا أَجَلَا.

تَمَشَّى عَلَى بَطْنِهَا فِي الدَّهْرِ مَا عُمِرَتْ ** وَالتُّرْبُ تَأْكُلُهُ حُزْنًا وَإِنْسَهَلْ .

فَأَتَعَبَا أَبُوَانَا فِي حَيَاتِهِمَا ** وَأَوْ جَدَا الْجُوعَ وَالْأَوْ صَابَ وَالْعَلَلَا.⁽²⁴⁾

فإذا انتقلنا إلى لون آخر من الشعر التعليمي في الجاهلية وهو ذلك الذي أسماه " حقائق الفنون والعلوم والصناعات" وجدنا له مثالا صارخا للشاعر الجاهلي " الأخنس بن شهاب " حيث يذكر في قصيدته سكنى قبائل نجد قبيلة، فهي من هذه الناحية تدخل في علم تقويم البلدان - أو ما يسمى بالجغرافية - فمما جاء في هذه القصيدة قوله:

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى فِي بِلَادٍ مُقَامَةً ** يُسَائِلُ أَطْلَالَهَا بِهَا لَا تُجَاوِبُ.

فَلَا بِنَةِ حَطَّانَ بِنَ قَيْسِ مَنَازِلُ ** كَمَا نَمَقَ الْعُنْوَانَ فِي الرَّقِّ كَاتِبُ.

لِكُلِّ أَنَاثٍ مِنْ مَعَدِّ عِمَارَةٍ ** عَرُوضٌ إِلَيْهَا يَلْجِؤُونَ وَجَانِبُ.

أَكْبَرُ لَهَا الْبَحْرَانَ وَالسَّيْفُ كُلُّهُ ** وَإِنْ يَأْتِيهِمْ نَاسٌ مِنَ الْهِنْدِ كَارِبُ.

تَطَايَرُ عَنْ أَعْجَازِ حَوْشٍ كَأَنَّهَا ** جَهَامٌ أَرَاقَ مَاءَهُ فَهَوَّ أَيْبُ.

وَبَكَرُ لَهَا ظَهْرُ الْعِرَاقِ وَإِنْ تَشَأْ ** يَحُلُّ دُونَهَا مِنَ الْيَمَامَةِ حَاجِبُ.

صَارَتْ تَمِيمٌ بَيْنَ قَفِّ وَرَمَلَةٍ ** لَهَا مِنْ جِبَالٍ مُنْتَأَى وَمَذَاهِبُ.

وَكَبُّ لَهَا حَيْبٌ، فَرَمَلَةٌ عَلِيجُ ** إِلَى الْحَرَّةِ الرَّجْلَاءِ حَيْثُ تُحَارِبُ.

وَعَسَانٌ حَتَّى عَزُّهُمْ فِي سِوَاهُمْ ** يُجَالِدُ عَنْهُمْ مَقْتَبٌ وَكُتَابُ.

- ونَهْرَاءُ حَيْ قَدْ عَلِمْنَا مَكَائِهِمْ ** لَهْمُ شَرَكٍ حَوْلَ الرُّصَافَةِ لِاحِبِّ.
وَعَارَتِ إِيَادُ فِي السَّوَادِ وَدُونَهَا ** بَرَّازِيْقُ عُجْمٍ تَبْتَغِي مَنْ تُضَارِبُ.
وَنَحْنُ أَنَاسٌ لَا جَجَارَ بِأَرْضِنَا ** مَعَ الْغَيْثِ مَا نَلْتَقَى وَمَنْ هُوَ غَالِبٌ. تَرَى رَائِدَاتِ الْخَيْلِ حَوْلَ بُيُوتِنَا ** كَمِعَزَى الْجَجَارِ
أَعَجَزْتَهَا الرَّرَائِبُ. (25)

فالقصيدية - كما ترى - من الشعر التعليمي دون ريب، ذلك لأن المقصود منها هوبيان مساكن هذه القبائل في جزيرة العرب والعراق وما إليهما.

أما نوع آخر من الشعر التعليمي وهو الذي يتناول العقائد والأخلاق فهوفي الشعر الجاهلي أكثر من أن يحصى إلا أن الحكم والأخلاق منتشرة في الشعر الجاهلي مأخوذة من بقايا تعاليم الأنبياء أو مستمدة من نضج عقلي وتجربة حياتية وهي على العموم نظرات وانطباعات وتأمل في الحياة والموت، ومحاولات لسن نظم خلقية، وجاءت هذه الحكم عند الجاهليين حقائق مجردة وفق مثلهم العليا السائدة في عصرهم. ولا يجمع هذه الحكم نظرة شمولية إلى الكون والحياة، بل هي أشبه بالخواطر المتفرقة. يروى أن قس بن ساعدة قال وهو يرى هذا الشوط القصير من حياة البشر وانتقالهم إلى مصيرهم المحتوم:

- فِي الذَّاهِبِينَ الْأُولِي ** نَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرِ.
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا ** لِّلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرِ.
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا ** تَمْضِي الْأَكَابِرُ وَالْأَصَاغِرِ.
لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي إِلَى ** وَ لَا مِنَ الْبَاقِيْنَ غَايِرِ.
أَيَقْنَتْ أَيَّ لَا مَحَا ** لَنَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرِ. (26)

ومن أروع القصائد الحكمية في الجاهلية معلقة زهير بن أبي سلمى حيث تتناول القصيدة أغراضاً ثلاثة: المقدمة الغزلية والمدح والحكمة والأراء. فمن هذه الحكم:

- سَمِثْتُ تَكَالَيْفَ الْحَيَاةِ، وَمَنْ يَعِشُ ** ثَمَانِينَ حَوْلًا - لَا أَبَا لَكَ - يَسَامِ.
وَأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ ** وَ لَكُنِّي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدِ عَمِي.
رَأَيْتُ الْمَنَائِبَا حَبَطَ عَشْوَاءَ مَنْ نُصِبَ ** ثَمَّتَهُ، وَمَنْ تُخَطِي بِعَمْرِ فَيَهْرَمِ.
وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ ** يُضْرَسُ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمَنْسِمِ.
وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ ** يَفْرَهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّنَمَ يُسْتَمِ. (27)

وبالنسبة للعقائد لدينا قصائد كثيرة ومنها قصيدة لأمية بن أبي الصلت حيث قال في حادثة الفيل، وأن الدين الحق هو الحنيفية - بعد ذكر شيء من آيات الله في الكون والحياة:

- إِنَّ آيَاتِ رَبِّنَا بِأَقْيَاسٍ ** مَا يَمَارِي فِيهِنَّ إِلَّا الْكُفُورُ.
خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَكُلُّ ** مُسْتَبِينٍ جَسَابُهُ مَقْدُورُ.
ثُمَّ يَجْلُوا النَّهَارَ رَبُّ كَرِيمٌ ** بِمَهَاةٍ شِعَاعِهَا مَنَشُورُ.
حَبَسَ الْفِيلَ بِمِ غَمَسٍ حَتَّى ** ظَلَّ يَحْبُوا كَأَنَّهُ مَعْفُورُ.

حَوْلَهُ مِنْ مُلُوكِ كِنْدَةَ أَبِطًا ** لُ مَلَاوِيْتُ فِي الحُرُوبِ صُفُورُ.

خَلْفُوهُ ثُمَّ ابْدَعُوا جَمِيعًا ** كَلُّهُمْ عَظْمٌ سَأَقُهُ مَكْسُورُ.

كُلُّ دِينٍ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ اللّٰهِ ** لَهُ إِلا دِينَ الحَنِيفَةِ زُورُ. (28)

5- حصيلة البحث:

رأى الباحث فيما تقدم أن الأدباء قد اختلفوا في نشأة المنظومات التعليمية في الأدب العربي وذهبوا فيها مذاهب شتى؛ إلا أنه أورد أمثلة كثيرة من الأقسام الثلاثة لهذا النوع الشعري من العصر الجاهلي، مما يدل على وجود هذا اللون الشعري في الأدب العربي من قديم الزمان وهكذا عدم تأثره من الثقافات الأجنبية الأخرى بهذا الصدد.

الخاتمة:

إن الشعر من أشهر الفنون الأدبية وأكثرها انتشارا ويعود ذلك لقدم عهد البشرية به، فهو أقدم وسائل التعبير الأدبي التي ظهرت في حياة الإنسان إذ يعبر عن انفعالاته وعواطفه وعندما أراد الإنسان التعبير عن أفكاره اهتدى إلى النثر الفني فارتبطت الانفعالات بالشعر والأفكار بالنثر وفي أدبنا العربي كان الشعر سابقا لأنواع النثر الفني في الظهور.

الهوامش:

- 1- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج1، ص: 44-45.
- 2- عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص: 329.
- 3- صالح آدم بيلو، حول الشعر التعليمي 1، ص: 1.
- 4- ضحى الإسلام، ج1، ص: 246.
- 5- الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء، ص: 349.
- 6- إتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ص: 355.
- 7- المصدر نفسه، ص: 355-356.
- 8- أحمد عبد الستار الجوارى، الشعر في بغداد، ص: 250.
- 9- من حديث الشعر والنثر، ص: 286.
- 10- المجموعة الكاملة، ج2، ص: 540.
- 11- تاريخ الأدب العربي، ج3، ص: 190.
- 12- التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص: 319.
- 13- إتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ص: 356.
- 14- رؤية، مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان روية، تصحيح وليم بن الورد البروسي، ص: 48.
- 15- المصدر نفسه.
- 16- المصدر نفسه، ص: 61.
- 17- مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان روية، ص: 104.
- 18- التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص: 323.
- 19- المصدر نفسه، ص: 317.
- 20- المصدر نفسه، ص: 319.
- 21- المصدر نفسه، ص: 324.
- 22- صالح آدم بيلو، حول الشعر التعليمي 1، ص: 2.
- 23- المصدر نفسه.
- 24- عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، ج4، ص: 198.
- 25- أبو العباس المفضل بن محمد الضبي، ديوان المفضليات، ص: 414-418.
- 26- محمد علي آذرشب، الأدب العربي وتاريخه حتى نهاية العصر الأموي، ص: 54.
- 27- أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص: 118-119.
- 28- محمد عبد المنعم خفاجي، دراسات في الأدب الجاهلي والإسلامي، ص: 210.

المصادر والمراجع

- أنرشب، محمد علي، الأدب العربي وتاريخه حتى نهاية العصر الأموي، الطبعة الخامسة، طهران، منظمة سمت، 1382هـ.
- أمين، أحمد، ضحى الإسلام، ج1، الطبعة العاشرة، بيروت، دار الكتاب العربي، دت تاريخ.
- بيلو، صالح آدم، حول الشعر التعليمي1، 2002م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، بحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج4، بيروت، دار احياء التراث العربي، 1969م.
- الجواري، أحمد عبد الستار، الشعر في بغداد، الطبعة الثانية، المجمع العلمي العراقي، 1991م.
- حسين، طه، المجموعة الكاملة، ج2، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1980م.
- حسين، طه، من حديث الشعر والنثر، القاهرة، دار المعارف، 1969م.
- خفاجي، محمد عبد المنعم، دراسات في الأدب الجاهلي والإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الجيل، 1992م.
- روية، مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان روية، تصحيح وليم بن الورد البروسي، الطبعة الأولى، دار الآفاق الجديدة، 1979م.
- الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، شرح المعلفات السبع، بيروت، دار الجيل د. ت. تاريخ.
- الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد، ديوان المفضليات، تحقيق:كارلوس يعقوب لایل، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، دت. تاريخ.
- ضيف، شوقي، التطور والتجديد في الشعر الأموي، الطبعة التاسعة، القاهرة، دار المعارف، دت. تاريخ.
- ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، ج3، العصر العباسي الأول، الطبعة السادسة عشرة، القاهرة، دار المعارف، دت. تاريخ.
- عتيق، عبد العزيز، الأدب العربي في الأندلس، الطبعة الثانية، بيروت، دار النهضة العربية، 1976م.
- الفروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي، ج1 و2، الطبعة الخامسة، بيروت، دار العلم للملايين، 1984م.
- هدارة، محمد مصطفى، إتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، الطبعة الثانية، القاهرة، دار المعارف، دت. تاريخ.
- الهييب، أحمد فوزي، الحركة الشعرية زمن المماليك في الحلب الشهباء، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1986م.